عرض كتاب
الدولة، المجتمع، وسياسات الهوية في العراق الجمهوري

المؤلف : د. حارث حسن

ترجمة : م. مصطفى نعمان أحمد/ كلية العلوم السياسية / الجامعة المستنصرية

سنة الطبع : ٢٠٢٠

جهة النشر : دار و مطبعة الكتاب

عن المؤلف

حارث حسن باحث أول في مركز كارنيغي للشرق الأوسط، تركز أبحاثه على العراق، والطائفية، وسياسات الهوية، والقوى الدينية، والعلاقة بين الدولة والمجتمع. وهو حائز على دكتوراه في العلوم السياسية من جامعة سانت آنا للدراسات المتقدمة في بيزا، ايطاليا وعلى ماجستير في التواصل السياسي من جامعة ليدز. وقبل انضمامه الى كارنيغي، كان حسن زميل أبحاث بارز في جامعة أوربا الوسطى ومدير مشارك لمشروع بعنوان:" توثب الأطراف : الدين والدولة والتفكك في المشرق العربي" شغل حسن، قبل ذلك، منصب باحث أول غير مقيم في مجلس الأطلسي، حيث كان يدير برنامج العراق، وباحث في معهد رادكليف للدراسات المتقدمة في جامعة هارفارد، وزميل أبحاث ما بعد الدكتوراه في جامعة براندیز . نشر الكثير من المقالات والأبحاث والدراسات في مجلات انكليزية وعربية.

عرض الكتاب

يقدم هذا الكتاب معالجة أساسية لسياسات الهوية في العراق من منظور التحول في العلاقة بين الدولة والمجتمع، وعلى نحو خاص في الحقبة الجمهورية التي ظهرت من رحمها الدولة السلطوية ذات الخطاب الأيديولوجي الحاد والنزعة الشعبوية

الكلانية، وهو يجيب على تساؤلات من قبيل ما هي التيارات الأساسية التي برزت سياسيا في الحقبة الجمهورية؟ وما هي منظوراتها لقضية الهوية؟ كيف أعادت الدولة السلطوية–الريعية تشكيل العلاقة مع المجتمع وصياغة مفهومها للهوية السياسية الجمعية؟ وكيف أسهمت الديناميات الاجتماعية– الاقتصادية في بناء وتفكيك منظومة الدولة الكلانية ومشروعها "التغييري"، بما أفضى لاحقا لصعود النزعات التقليدانية مجددا وشحن الهويات الفرعية سياسيا، على نحو يمهد لفهم التفاعلات والصراعات التي شهدها العراق بعد سقوط صدام حسين؟

هذا الكتاب هو الترجمة العربية لفصلين من كتاب أوسع عن "الوطنية والطائفية والصراع السياسي– الاجتماعي في العراق"، الذي يعتمد في مقاربته على مناهج العلوم الاجتماعية والسياسية الحديثة المتعلقة بقضايا الهوية السياسية، والصراع الأثن، والوطنية /القومية، وبناء الامة، ويجادل الكتاب أن عملية بناء الأمة في العراق أسهمت بتشكيل هوية عراقية متخيلة، وفق تعريف (بيندكيت أندرسون) للهويات القومية، لكن هذه العملية لم تستكمل لسببين اثنين، **الأول** أن الدولة وكيلة التغيير الاجتماعي في بلد عالم – ثالثي ما بعد – كولونيالي أخفقت في قيادة مشروع مستقر لبناء الأمة، بوصفه مشروعا تحديثيا يفترض أن يمضي الى انتاج مجتمع سياسي حديث تتمحور سياساته حول التضامنات الطوعية والمجتمع المدني المتحرر من ثقل التضامنات الميكانيكية التقليدية، بالمعنى الذي تحدث عنه دوركهايم.

لقد تعرض هذه المشروع الى انتكاسات، بعض منها ناتج عن الصراع على الدولة المندمج بصراع حول تعريف هويتها بين تيارات سياسية وايديولوجية لديها مرجعيات من خارج "الوطنية العراقية" وتريد تشكيل تلك الوطنية ومحتواها الايديولوجي، بما يعكسه ذلك من علاقات سلطة وتراتبيات اجتماعية–سياسية،

وفق مشروعها الذي يتسم بحكم مرجعيته الاحادية، بالطابع الاقصائي. وفي الوقت نفسه، تأثر الخلل في المشروع التحديثي بطابع الدولة النيو– باترومونية التي تحتفظ بالجهاز المؤسسي للدولة الحديثة، لكن منظومة السلطة فيها تتحرك وتتشكل الى حد كبير من خلال التضامنات الميكانيكية التقليدية التي تمثلها العائلة، والعشيرة، والطائفة الدينية. أما **السبب الثاني** فيتعلق بإشكالية التحديث المنقوص، اذ يجري تقويض أو اضعاف الكثير من الروابط والبنى والمؤسسات التقليدية من دون أن تحل محلها روابط ومؤسسات حديثة، مما خلق فضاءات اجتماعية انتقالية تعاني من التباسات الهوية الجمعية ومن اختلال نفسي – ثقافي، وهي الفضاءات التي أطلق عليها الباحثون تسمية الفضاءات ما بعد القبلية، والتي غالبا ما يجري اغرائها بأيديولوجيات راديكالية اقصائية، قومية أو دينية أو طائفية، توفر خرائط ذهنية سهلة لمن يبحث عن سردية مبسطة تسهل عليه تجاوز الالتباس الهوياتي، والنفسي، والثقافي السائد في تلك الفضاءات.

لابد اذن من أن ننظر لهذا الكتاب بوصفه جزءا من مشروع أوسع، سواء في معالجته التاريخية أو في مقاربته النظرية، وأن ما توفره هذه الترجمة هو اطلالة على مقطع محدد يتعلق بالحقبة الجمهورية في العراق قبل العام ٢٠٠٣. تنقسم هذه النسخة المترجمة الى فصلين. يتعامل الفصل الأول مع الحقبة الممتدة من ١٩٥٨ الى ١٩٦٨، حيث أعطى اهتماما خاصا للصراع ما بين رؤيتين اثنتين تتعلقان بالمجتمع الوطني العراقي: القومية العربية والوطنية العراقوية، فضلا عن تحليل للقوى الاجتماعية والسياسية التي تقف وراء كل رؤية من هاتين الرؤيتين. ويتناول هذا الفصل أيضا الاسلام السياسي، بوصفه نمطا آخرا للوطنية، فضلا عن التركيز على علاقته بقوى اجتماعية جديدة في المجتمع الشيعي، بينما يناقش الفصل الثاني أسباب وعواقب التحول السلطوي الذي حدث بعد الانقلاب البعثي

في عام ١٩٦٨ ، وتراجع هذا النظام بعد عام ١٩٩١، اذ ركز تركيزا رئيسا" على التفاعل ما بين التغيير الاجتماعي – السياسي ومسألة الهوية، وفي الجزء الأول من هذا الفصل، ثمة اهتمام خاص للتفاعل ما بين الصراع السياسي، والرؤى الهوياتية، والتغيير الاجتماعي، فضلا عن دراسة كيفية بناء الدولة السلطوية لبنيتها الاقصائية، مستفيدة من عوائد النفط والمناورة بالهويات الثقافية .وقد تناول الفصل القومية العربية عند حزب البعث ونظامه الدكتاتوري بوصفها ايديولوجية تهدف الى ادامة الوضع القائم واخفاء الطابع الاقصائي لعلاقات السلطة. ويبدأ الجزء الثاني من الفصل بالحقبة التي أعقبت الانتفاضة الشيعية في عام ١٩٩١، التي امتازت بتراجع المشروع السلطوي وببروز الطابع الباترومونى للنظام المستند الى الزبونية التقليدية مع تخلي الدولة الاضطراري عن بعض وظائفها وتراجع قدرتها على ممارسة السيطرة والضبط الاجتماعيين بالدرجة السابقة نفسها، اذ فقدت الوطنية الرسمية ما تبقى من هيمنتها الثقافية، واخذت المقولات الدينية والقبلية تؤكد حضورها في الفضاء العام. وأخيرا، تضمنت الخاتمة استعراضا نهائيا للديناميات التي أثرت في العلاقة ما بين الدولة – الأمة، والوطنية في العراق.